الاصل اليوناني لكاتبي بعض البرديات اليونانية (من عصري البطالمة والرومان)

أ.د. محمود إبراهيم السعدني*

إذا كان الأدب الإغريقى القديم منذ هوميروس وحتى نهاية العصر الكلاسيكى (أواخر القرن ٤ق.م) قد قدم لنا نماذج مثالية للمرأة اليونانية القديمة- على أرضها وبين ربوع بلدها واتساقا مع تراثها البطولى الارستقراطى - فإن النماذج اليونانية فى الشرق القديم، إبان العصر الهللينستى، فى مصر وسوريا، تغاير ذلك تماما وتعكس واقعا مناقضا لتلك النماذج الأقدم: الجميلة(شكلا وموضوعا) والوفية، والمخلصة، مثلما صورت لنا أبيات الشعر الخالدة لهوميروس فى وصفه للزوجة الجميلة هيلينى (Helene)، ذات الجمال الأخّاد الذى كان "جديرا بأن تنشب من أجله الحرب[١]"، وكذلك صورة بنيلوبى (Penelope) زوجة أوديسيوس بمشاعر الحزن الهادئ النبيل على زوجها وحالها وقلق ابنها الوحيد تليماخوس حول مصير والده، تلك الأم، صاحبة الإحساس العميق بالأمومة الهادئة[٢]، والحب الدافئ العقلانى لزوجها الغائب.

وتمر القرون سراعاً، فإذا بنا نجد صورة أخرى- غير تقليدية للمرأة- تعكس واقعا تاريخياً واجتماعياً متطور حيث حياة التنافس على الرزق، واللجوء إلى التجارة، مما يفرض على الإنسان اليونانى أساليب أخرى للتعامل بأدوات جديدة، منها- مثلاً- المكر والدهاء والخديعة واستخدام الكذب واستحلال الحرام ونهب الأموال بالقوة والإغارة وفرض الأمر الواقع فى أعمال قرصنة بحرية!!! هنا يصور لنا هيسيود (Hesiodos) [منذ القرن ٨- ٧ ق.م] نماذج أخرى للمرأة، مثل باندورا[٣] (Pandora) وينتهى الأستاذ الدكتور حمدى إبراهيم من بحثه حول المرأة الأولى - فى الكون وعند اليونان- فيقول مؤكداً:

---

* أستاذ تاريخ الحضارة اليونانية الرومانية ووكيل كلية الآداب ــ جامعة حلوان.

(١) محمد حمدى إبراهيم: "صورة المرأة فى الأدب الإغريقى القديم" حولية كلية الآداب، جامعة القاهرة، قسم/ مؤتمرات وندوات الكلية خلال العام الجامعى ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣، ص ص ١١-٢٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢.

(٣) يترجم لفظها أستاذى الدكتور/ حمدى إبراهيم ، (فى مقالته السابقة ، ص ١٣) بأنها تعنى "كافة الهدايا" وبأنها جاءت ، وفق الاسطورة كعقاب للبشر - من زيوس- (رب الأرباب اليونانى) لعصيانهم إياه وانتقاما من بروميثيوس (Prometheus) الذى خدع زيوس مرتين: الأولى عند تقديم الثور الأضحية من البشر للآلهة وتقسيمه، والثانية عندما سرق منه النار المقدسة وأعطاها لكل العالمين ، بعد احتكار زيوس لها وحرمانهم منها.

"فمن الواضح لأن ما يزعج شاعرنا من المرأة ليس تصرفاتها الماكرة أو سلوكها الملتوى فحسب- كما ورد بالقصيدتين المشار إليهما أعلاه- ولكن اعتراضه ينصب أساسا على كونها طاقة غير منتجة، وعلى أنها تعيش دوما عالة على الرجل، تستنفذ طعامه، وتقاسمه قوت يومه، الذى يكدح طول نهاره فى سبيل الحصول عليه"(٤).

أما الشاعر الغنائى سيمونيديس(٥) (Simonides) بعد حوالى قرن من الزمان من هيسيود(أى حوالى القرن ٦ ق.م) فإنه يتحامل على المرأة بشكل ظاهر يعكس كراهية مطلقة لكل جنسها، حتى أنه فى قصيدته "أنشودة هجاء للنساء" يذكر (١٠) عشرة أصناف لأنثى الحيوانات والحشرات ومعها الأرض والبحر، وهى أنواع تنقل مشاعر وأحاسيس جنسها إلى بنى البشر، كالتالى(٦):-

(١) **النوع الأول:** المرأة /الكلبة، وترمز للوقاحة.

(٢) **النوع الثانى:** المرأة/ الفرس، وترمز للجمال الشرير.

(٣) **النوع الثالث:** المرأة / الخنزير، وترمز للقذارة.

(٤) **النوع الرابع:** المرأة/ القرد، وترمز للقبح والدمامة.

(٥) **النوع الخامس:** المرأة الثعلب، وترمز للخبث والدهاء.

(٦) **النوع السادس:** المرأة / الحمار، وترمز للبلادة.

(٧) **النوع السابع:** المرأة / العرسة، وترمز للطمع والشراهة.

(٨) **النوع الثامن:** المرأة / النحلة، وترمز للحيوية والنشاط والإنتاج.

(٩) **النوع التاسع:** المرأة / الأرض، وترمز للغباء وعدم التفكير.

(١٠) **النوع العاشر:** المرأة/ البحر، وترمز للشراهة والتقلب والجموح.

وإذا كان النقاد قد تحاملوا على سيمونيديس، بقدر تحامله هو على المرأة، فاعتبروا ما قال به خاص بالإماء والجوارى ولا يليق بالسيدات الحرائر(٧)، فإن المرأة الفاضلة، فى تصوره، كانت هى(٨):-

---

(٤) المرجع نفسه، ص ١٤.

(5) The Oxford Classical dictionary , 2nd edition , Sub Verbvm: Simondes, P.

(٦) حمدى إبراهيم، المرجع السابق، ص ١٥ ، حيث نقل عنه بلفظه تلك المقابلات ، لدقتها واختصارها المباشر. جزاه الله عنا خير الجزاء، لتفرده فى تعبيراته اللغوية

(٧) المرجع نفسه، ص ١٦.

أ- التى لا تعرف، ولا تريد أن تعرف.

ب-التى تخضع دوماً لسلطان الرجل.

ج- التى لا تأكل كثيراً، وتقنع بالقليل.

د- التى لا تنشد المتعة، سوى أقلها.

ه- التى لا هدف لها، من حياتها، سوى إنجاب الأطفال.

والحق أقول، فى رأى حيث لا أتجاوز قدرى، أن تلك الصفات ليست حكرا على المرأة، بل هى لبنى الإنسان جميعه، رجلا كان أم امرأة، كما أنها ليست حكرا على عصر بعينه دون آخر: فالإنسان، أى إنسان، شرقيا كان أم غربيا، شماليا كان أم جنوبيا، فيه كل هذه الأنواع من ا لصفات الآنفة الذكر، ولكن بقدر، يتفاوت من فرد لآخر: فمنا الكلب/ الوقح، والفرس/ الجميل الشرير، والخنزير/ القذر، والفرد/ القبيح، والثعلب/الخبيث، والحمار/البليد، والعرسة/الطماعة الشرهة، والنحلة/ النشيطة المنتجة، والأرض/الغبية، والبحر/ المتقلب الشرس.

وإذا كان لى أن أضيف أو أن أختصر كل تلك الصفات العشرة عند سيمونيديس، بألفاظ أخرى، وبمفهوم أوسع على أساس اسهامات بنى البشر الآن، فى عالم اليوم المتصارع، المتضارب المصالح، والكثير العدد، والقليل الإمكانات والفرص، والشديد المنافسة، والكبير الطموحات، والمتعدد اللذات والانتماءات، أقول: إننا يمكننا أن نقسم عالم اليوم الكونى، من بنى البشر، إلى مجموعات ثلاثة كبرى، ربما تحصى بالملايين:-

المجموعة الأولى

:صراصير العالم: هم ملايين البشر، رجالا ونساءً، الذين لا همَّ لهم، فى حياتهم، إلا الأكل والشرب وملذات الحياة الدنيوية، ويعيشون ويموتون، وتطأهم كل الأقدام، ولا يشعر بهم أحد، لا عند الميلاد ولا عند الوفاة.

المجموعة الثانية

:نَمْل العالم: هم الطبقات المتوسطة الكادحة، أو الموظفون فى الأرض، الذين يسعون بكل قواهم لكى يتعايشوا ويحققوا لهم ولذرياتهم قدرا من أمان الدنيا فى حياة كريمة ميسورة، أى يكتفون بفتات خيرات الكون، فيعملون حتى الموت، وآخر رمق" ويحسبون أنهم يحسنون صنعا"!!!

(٨) المرجع نفسه.

المجموعة الثالثة

:نحل العالم : وهم صفوة الخلق، وهم قليلون، ولكنهم مؤثرون فى مجتمعاتهم: يعملون بدأب، ولكن لخير الآخرين، ولمصلحة بنى الإنسان فى كل مكان، ومنهم القادة والزعماء والرواد والمصلحون، وكذلك الأنبياء والرسل من قبل، فهم رحمة مهداة، ونعمة مسداة لبنى البشر... يفنون فى سبيل صوالح ومنافع غيرهم من الناس. وهم الأرقى مشاعراً، والأكثر إحساساً، والأعظم ثباتا على المبدأ، والأكبر خَيْرية للإنسانية جمعاء.

ولكن، يظهر السؤال، وهل استمر الحال فى اليونان على مثل تلك الصور والمبادئ والأفكار، لدى بعض مثقفى زمانه، حتى العصر الكلاسيكى، قمة الازدهار والنهضة والحضارة اليونانية القديمة: أدباً، وفناً، وعلوماً، وسياسة، وإدارة؟!!.

ويخبرنا بيقين تام وفى ضوء الدليل الأثرى: "الذى لا يكذب ولا يتجمل"- كما أسميه أنا دائما فى محاضراتى لطلابى- أحدث أطلس تاريخي عن اليونان القديمة[٩]، فيقول:

"كان البيت والأسرة، إذن، يلعب دورا ثانويا فى حياة المدينة، وبالرغم من أن أثينا كانت هى تجسيد للديموقراطية، فإن المدينة كانت منقسمة على أساس الأصل الأسرى والوضع الاجتماعى، ما بين أثينيين (Athenaioi) وأجانب (Metoikoi). أما نظام الرق وامتلاك العبيد فقد تراوح وتأرجح بالضرورة، وفق ظروف كل منطقة أو إقليم ولكن معظم البيوت اليونانية، سواء أكانت صاحبة الأراضي الزراعية، أو المصانع الحرفية الصغيرة، فإنها اعتمدت اعتماداً كلياً على العبيد حتى تنجز أعمالها..."

وفى فقرة أخرى يبرر هذا الأطلس التاريخى ومؤلفه الحديث جداً، أنجوس كونستام (Konstam)، الدور الثانوى للبيت اليونانى قياسا بالدور السياسى والاجتماعى الكبير والبارز للمدينة كلها، فيقول:

"لقد كان المنزل اليونانى النمطي مجرد سكن بسيط للغاية، حيث تمضي النساء أوقاتهن وتقضي أعمارهن فى عزلة تامة، ونادرا ما يُسمح لهن بالاتصال بأناس من غير منزلهن أو خارجه، بينما كان الرجل الأثيني يستقبل أصحابه الذكور، المدعوين

(٩) Konstam, Angus, Istorikos Atlas tes Archaias Elladas, Ekdoses Sabbalas, Athena 2004 ,p.92.

عنده، في حجرات مستقلة. وكانت العشيقات (Etaires) هن الوحيدات اللائى يُسمح لهن بالمشاركة في مثل هذه اللقاءات والتجمعات الذكورية"[١٠].

وإذا كان الأدب الكلاسيكى، فى قمة ازدهاره، ممثلاً فى الأعمال المسرحية للتراجيديا والكوميديا بشقيها (القديم والحديث) قد أعطانا صوراً للمرأة اليونانية تتناقض فيها مواقفها وشخصياتها، من النحلة الآثمة على يد كليتمنسترا، زوجة أجامنون (ملك اليونان فى حربها ضد طروادة) – فى مطلع القرن ١٢ق.م– كنتاج لغطرستها (Hybris) [١١].فإن صوراً أخرى تعكس الواقع الحياتى لنساء كثيرات أخريات، عند آيسخيلوس (Aeschylos) نفسه، فى ثلاثيته، حيث نجد:

أ- نماذج أخرى تلازم بيت زوجها فى انتظاره.

ب- اخلاص ووفاء رغم كل التحديات النفسية والخارجية.

ج- بقاء بعض النساء بلا عمل اعتماداً على الرجل.

وكانت عند سوفوكليس(Sofokles) بداية أخرى حيث طغى الجانب النفسى فى مواقف محددة تستفز الروح الإنسانية: فنجد فتيات جريئات وثائرات، مثل أنتيجوانى (Antigone)، الملتزمة بقوانين المجتمع ونواميس الآلهة[١٢]، وكذلك شخصية ديانيرا (Dianeira) التى أحبت زوجها هيراكليس (Herakles) حباً أعمى، ملك عليها قلبها وعقلها، فقتلته دون قصد منها!!!، فكانت زوجة حمقاء بحق، أماتت زوجها بسبب غيرتها العمياء من معشوقته الأثيرة لديه "إيولى" (Iole) [١٣].

أما الشاعر العبقرى يوريبيدس (Euripides) فإن النقاد يعتبرون مسرحياته بمثابة أول تيار أو اتجاه أنثوى (Feminism) يظهر فى العالم القديم، قرب نهاية القرن ٥ ق.م، فى مدينة أثينا، إذ يُعد هذا القرن حقاً من أخطر القرون وأكثرها ثراءً فى الحضارة الإغريقية، لأنه حقبة زاخرة بالتحولات الاجتماعية والفكرية، والثورية على حد سواء"[١٤].

---

(10) Ibid.

(١١) حمدى إبراهيم، المرجع السابق، ص ١٧.

(١٢) المرجع نفسه، ص ١٨.

(١٣) المرجع نفسه، ص ١٩.

(١٤) المرجع نفسه ، ص ١٩.

إذن، فماذا يمكن أن تكون عليه السيدة أو الفتاة اليونانية فى مصر، طيلة العصر اليونانى- الرومانى؟

وهل يمكن بقراءة متأنية فى البرديات اليونانية أن نخرج ببعض الملامح الأنثوية لنشاط وخصال بعض السيدات آنذاك؟ وأخيرا، هل يمكن أن نصل إلى يقين بدرجة ما حول جنسية الكاتب أو الكاتبة لهذه البردية أو تلك، فى وقت اختلط فيه كل شئ، بسبب الزواج المختلط بين اليونانيين والمصريين، وانتقال الأسماء بين عنصرى المجتمع وبخاصة فى العصر الرومانى بعد السماح قانونا بهذا الزواج المختلط؟

وبكلمات أخرى، أكثر وضوحا، هل تأثر العنصر اليونانى المقيم فى مصر، سواء كانوا رجالا أو نساءً، بالحضارة المصرية الأقدم، والأكثر التزامات أخلاقيا، والأكثر حرية اجتماعية، والأوسع فى الحقوق القانونية وبخاصة للمرأة؟!!!.

لقد كتب الباحث الإنجليزى ديفز (Davis) (١٤/a) كتابا تعرض لنقد شديد من العلامة الأشهر (F.W.Walbankl) (١٤/b) حيث ذكر الأخير حقيقة تاريخية واجتماعية تهم مصر القديمة وتحدد أحد أهم ملامحها الحضارية، عقب انتهاء عصور الأسرات المصرية، وبداية مراحل الاحتلال الأجنبى، من فرس ومقدونيين ويونان ورومان، وهى تلك المقدرة الغريبة على انصهار كل العناصر الأجنبية فى بوتقتها التراثية العريقة وهيمنتها عليها جميعاً، برغم استسلامها السياسى ورضوخها العسكرى تحت نير المحتلين، فقال:

"There was perhaps no land where these problem* were more urgent and more far-reaching than in Egypt."

إن البرديات المكتشفة في مصر، وبخاصة من القرى المصرية القديمة، وبوجه خاص من الفيوم والحيبة والبهنسا، تعطينا صورة أكيدة يقينية عن بعض السيدات اليونانيات ونشاطهن وأعمالهن اليومية وغيرها، فضلا عن درجة علاقتها الاجتماعية بزوجها، من ناحية، وبأقاربها من ناحية أخرى.

فمن البردية الأولى:

(14/a) Davis , S., Race- Relations in ancient Egypt: Greek, Egyptian, Hebrew, Roman. London: Methuen , 1951.

(14/b) Journal of Hellenic Studies , vol. LXXIII, 1953, P. 174.

*وقصد بها كما أشار من قبل درجة اختلاط الأجناس العرقيات والديانات والسياسات فى بقعة من العالم القديم.

مثلاً، بالإطلاع على البردية المعروفة باسم كاتبها، الأم العجوز يودايمونيس (Eudaemonis) إلى ابنتها ألينى (Aline) نكتشف ما يلى من مضامين تاريخية وحضارية تعكس سلوكيات يونانية صرفة واهتمامات يونانية كذلك:-

(أ) نحن أمام أسرة ثرية، نسبياً قياساً بفقر الفلاحين المصريين، تتخذ أرقى أساليب العصر فى الاتصال بين أفرادها البعيدين : الرسائل البردية المكلفّة.

(ب) لغة الرسالة يونانية قديمة بسيطة، تعكس سلاسة لغة الكوينى (Koine) فى الممالك الهيللينستية وازدهار المجتمعات اليونانية على أرض الشرق القديم.

(ج) هذه بردية واحدة من أرشيف أبوللونيوس (Apollonios) كتبتها أمه يودايمونيس بيدها، مما يعكس ثقافة ويسار هذا البيت الكبير اليونانى الذى تمثل فى الآتى:-

١- الاهتمام الأصيل بالمولود الذكر، دون الأنثى، كتراث يونانى ممتد منذ العصر الكلاسيكى وحتى قرون مصر الرومانية.

٢- احتفاظ البيت الكبير بنول لصناعة الصوف داخله، وبعدد كبير من العبيد الإناث.

٣- الحرص على تعليم الحفيدة تعليما خاصا.

٤- ضرورة الإخبار بتفاصيل المشاكل العائلية والخلافات بين أفرادها وأقاربها.

٥- كان مبلغ العشرين دراخمة غير كاف لإنفاق الجدة فى ذاك الوقت باعترافها هى.

٦- مبلغ المائة دراخمة هدية زفاف هو مبلغ كبير جدا بمعايير ذاك الزمان.

أما التأثيرات الحضارية المصرية على هذه الأسرة اليونانية لغة وثقافة وتراثاً، فإننا يمكن أن نلمسها فى بعض السطور كالآتى:-

(أ) التدين الظاهر والإيمان العميق بالآلهة كأهم سمة فى المجتمع المصرى القديم، وإن كانت العلاقة والسلوك الإيمانى هنا، يثقل كفة الميزان بمنهج نفعى يونانى برجماتى واضح فتقول الأم[١٥] :

"إننى أبتهل أن تكونى قد وضعت بسلام... إننى أخبرك بأننى لن يكون لدىّ وقت للإله، إلا إذا عاد إلىّ ابنى ثانية... وكذلك فإننى لم أستحم ولم أعبد الآلهة بسبب خوفى من حالتك غير المستقرة...."

(ب) المجاملات العائلية، وبخاصة عند الأفراح كانت ولا تزال أحد أهم ملامح المجتمع المصرى القديم، حيث جاء فى الرسالة البردية نفسها ما يلى: "... والآن فإن ابنها نيلوس (Nilus) على وشك الزواج، ومن الصواب أننا يجب أن نجاريهم (أى نجاملهم) بهدية، حتى ولو كانوا قد أحزنونا.."

(ج) تسمية الأولاد، الذكور هنا، لأسرة يونانية بأسماء مصرية، كما ورد فى الفقرة السابقة "نيلوس"، بالرغم من أن اللفظة يونانية الأصل، ولكنها كانت تطلق على النيل آنذاك، وهكذا كان يسمى إله النيل أيضا[١٦].

(د) استخدام التاريخ المصرى للبردية "العاشر من أبيب) أما أوضح اهتمام يونانى، لتلك الأسرة اليونانية المقيمة فى مصر، ولا يمكن أن تخطئه العين الفاحصة، هو ذلك الاهتمام الواضح بالأخبار السياسية وأحوال المجتمع من حولها، ورصد تطورات المجتمع المدنى ومواقفه اليومية من خلال سيدة جدة عجوز، لا تنسى ذكر ذلك فى رسالة شخصية لابنتها، حيث تذكر خبراً تاريخياً هاماً.بقولها "...إنهم جميعاً يعملون من أجل أسيادهم هم، ذلك لأن رجالنا يمشون حول المدينة كلها طالبين أجوراً أعلى..."[١٧]

وإذا كان بعض النقوش الصخرية المكتوبة باليونانية القديمة، والمكتشفة فى مصر العليا (صعيد مصر، المعروف آنذاك باسم (Ano Aigyptos) قد ذكرت بصراحة تامة ووضوح كامل جنسية وأصل صاحب اللوحة التذكارية (Stela) المهداة، بوصفه على أنه مثلا، من أكارنانيا (Akarnania)، إحدى أقاليم اليونان القديمة، وتخليدا لموطن اليونانى ليخاس بن بيروس، قائد حملة اصطياد الأفيال البرية،

(١٥) راجع /كتابنا: نصوص تاريخية بلغة أوروبية حديثة (إعداد وترجمة وتعليق د./محمود السعدنى) ، القاهرة ٢٠٠١ ص ص ٧٤-٧٥ أو كتابنا أيضا ، قصة البردى اليونانى فى مصر، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٤م، (تحت الطبع الآن).

(١٦) راجع ترجمتنا لنص اسيدورا (Isidora) من تونا الجبل ،فى العدد التذكارى للمرحوم د./ سامى جبرة، الصادر عن المتحف المصرى بالقاهرة ، ١٩٨٩، فى دورية Annales des services.

(١٧) المرجع السابق ، ص ٧٤.

وذلك على لوحة من البازلت الأسود والمكتشفة في إدفو (Apollonopolis Magna) والمؤرخة بالفترة فيما بين ٢١٧ و ٢١٢ ق.م من عهد الملك بطلميوس الرابع، فإن نقوشاً أخرى لا تذكر جنسية أصحابها الذين أهدوها لملوكهم وخلدوا أعمالهم[١٨]. وذلك بما يقل عن (٥٠) خمسين عاما بعدها، أى بعد تأريخ النقش السابق.

ولكن نقشاً يونانياً آخر، لأسرة يونانية خالصة لا يذكر بلدها الأصل اليونانى، وتقيم فى الفيوم، حيث أكبر تجمع يونانى إدارى وتجارى، وحيث أغنى الجاليات اليونانية، خارج الإسكندرية العاصمة المركزية للحكم البطلمى والأرستقراطية المقدونية والإدارة العليا اليونانية العنصرية، يؤرخ بحوالي عام ١٠٤ ق.م، يقدمه ديونيسوس بن ديمتريوس وزوجته ثاسيس [لصالح الملكة كليوباترا الإلهة الخيرة، والملك بطلميوس الاسكندر من أجل إيزيس (Isis) وابنها حربوكراتيس...]

وهو نقش من ديماى (Dimai)، على لوحة من الجرانيت الأسود، عليها ١٢ سطراً يونانياً، ليخلد عملاً خيرياً، بمبادرة أهلية لأسرة يونانية ثرية، قامت بشق طريق يوصل بين المعابد المحلية (محرابين اثنين) لتحقيق السيولة المرورية منها وإليها وأقامت مذبحاً أيضاً.

وهنا نقف وقفة قصيرة حيث نعرف بيقين، لا لبس فيه، تقرب العنصر اليونانى وتوده للإلهة المصرية إيزيس، وبداية هيمنتها الدينية على القلوب، حتى لدى الأجانب داخل مصر، وانتصار الرموز المصرية العريقة (إيزيس وابنها هربوكراتيس) على الديانة الرسمية للمملكة البطلمية وهى عبادة سيرابيس (Serapis)، وهنا يصدق قول Tarn (أحد أكبر علماء العصر الهيللينستى) :

"In that strength Isis swept the Mediterranean"[١٩].

وكان نجاح إيزيس الكاسح بهذا القدر واضحاً تماماً، كما صاغه كهنوتها الذكى جداً والعملى جداً، فى جمل قصار أوجزت كل جماع الخير في الدنيا لبنى البشر جميعهم على اختلاف أعمارهم وأنواعهم ذكورا كانوا أم إناثا[٢٠].وللإنسانية جمعاء فى كل زمان ومكان.

([18]) Conf.Herbert, K., Greek and Latin Inscriptions in the Brooklyn Museum, Great Britain ,Oxford Univ. Press, Brooklyn New York 1972, pp.19-21.

([19])Hellenistic Civilization , 3rd ed, Great Britain , London 1975, p.359.

(٢٠) راجع ترجمتنا العربية لبردية ودرت عند تارن ، فى كتابنا : تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان، الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٠ م ، ص ٣٧.

ومن بردية مثيرة فى موضوعها [٢١]،تؤرخ بالربع الأخير من القرن ٣ ق.م، أى حوالى ٢٢١ق.م، أرسلتها سيدة تدعى فيليستا (Philista) كانت قد تعرضت للأذى من (عامل الحمام) بيتيخون (Petekhon) "الذى صبَّ عليها ماءً ساخناً، أثناء استحمامها، فأحرق بطنها، وفخذها الأيسر حتى الركبة..." ولهذا فقد أرسلت خطابها، الآنف الذكر تستنجد بالملك البطلمى شخصيا، بعد أن أصبحت حياتها فى خطر.

هنا يمكننا أن نرجح أصل هذه السيدة وجنسيتها اليونانية بعامة، ولكنها فى أغلب الأحوال من سوريا وفلسطين القديمة، حيث تغلّب بعض المؤشرات ذلك، ومنها:

(أ) اسمها غير المألوف فى البرديات المصرية، وهو "فيليستا"، الذى يمكن أن يكون انحدر، عبر القرون من الاسم الوثائقى الأقدم لأحد عناصر شعوب البحر (The Sea-peoples) الذين وصلوا الساحل السورى الفلسطينى مطلع القرن ١٣ ق.م، وهم (Philastai) [٢٢].

(ب) هذه الجرأة الواضحة فى مخاطبة الملك نفسه مباشرة.

(ج) عدم الحياء من ذكر تلك الواقعة بالتفصيل الممل.

(د) التأثر الكبير بالحياة الإغريقية فى كل شئ، حتى فى زيارة الحمامات العامة، لكونها امرأة عاملة، كما أشارت هى نفسها فى البردية ذاتها.

(ه) يبدو أنها كانت سيدة مستفزة، ومتسلطة مما أوغر صدر عامل الحمام (المفترى) عليها، ومكر لها ونفذ مكيدته!!!

وكل أولئك لا يمكن أن تفعله سيدة يونانية عادية، إلا أولئك اللائى لهن جذور سورية/ فلسطينية تعتز بنفسها ولا تغفر لمن ينتقصها حقوقها!!! ومما يؤكد وجود هذا العنصر السكانى فى مصر، تردد اسم سيدة تدعى آسيا Asia ، أيضا فى برديات أخرى ولكن من الفيوم، وترجع إلى العصر الرومانى.

ويبدو أن اللجوء إلى الملك مباشرة، عند الشكاية من أحد المواطنين، سواء أكان مصرياً أو أجنبياً، كانت هى الحل الأمثل للأجانب- من غير اليونانيين- وذلك فى ضوء بردية أخرى[٢٣]، يمكن أن تؤرخ بالفترة ذاتها، تخاطب فيها صاحبتها

---

(21) P.Enteux., 82, 4-6.

(22) Nibbi., A., The sea-peoples:Re-Examination of the Egyptian Sources, Oxford , 1972.

(23) P.Enteux. 22, 218.

الفارسية (Persis) نيكايا (Nikaia) بنت نيكياس (Nikias)، طالبة منه أن يعين لها وصياً عليها، بعد موت زوجها وابنها كذلك ؟! ديمتريوس (Demetrios) الثراكى (أى من إقليم ثراكى[٢٤] : Thrake)

وأخيرا نقف طويلا أمام بردية شهيرة، وتؤرخ بنهاية القرن الأول ق.م، وتحديداً فى عام ١ ق.م، من البهنسا، وتعرف باسم "رسالة هيلاريون إلى أليس" وهى كذلك لأهميتها الشديدة فى إنكار انتشار عادة زواج الأخ بأخته حيث يشير صاحبها، أى الزوج:

أولا: إلى اخته أليس :

تحيات كثيرة

"Aliti te adelphe pleista khairein

وثانيا: إلى بيروس

Kai Berouti te kyria mou, kai

سيدتى، وابوللوناريس (ابنه):

Apollonarin....."

مما يؤكد الفصل التام بين شخصيتين باسمين مختلفين، الأول فى التحية والترحيب الزائد، وهى الأخت، بينما تأتى الزوجة، بعد ذلك، فى المرتبة الثانية من الاهتمام، ولكن باحترام وتقدير حيث يصفها بأنها "سيدتى" "Kyria mou"ولم يقل زوجتى.

وفى هذه الرسالة الهامة جداً الرد الكافى على من يدَّعون زوراً وبهتاناً، بأن المصريين القدماء أو حتى اليونانيين (فى مصر) كانوا يتزوجون من أخواتهم البنات كظاهرة عامة شاعت بعد الاسكندر الأكبر وفتحه لمصر (أى بعد ٣٣٢ ق.م) وبخاصة فى العصر البطلمى ومصر الرومانية!!!

كما أن لنا فى دراسة إحصائية، لا تخطئها العين الفاحصة المدققة، فى أعداد برديات الزواج من خلال التعداد السكانى (Laographia) مفهوما آخر يؤكد على المضمون السابق، لبردية هيلاريون وأخته أليس، إذا عرفنا ما يلى:-

١) شهد القرن الميلادى الأول نسبة ضئيلة [٢٥]جدا للزواج بين الأخوة الأشقاء أو غير الأشقاء، وفق إحصاءات أعوام ١١، ٣٣، ٤٧، ٦١، ٧٥، ٨٩.

(٢٤) أقصى شمال شرق اليونان ، شمال إقليم مقدونيا الشهير بالمملكة المقدونية الفتية صاحبة الحول والطول، وموطن فيليب الثانى والد الاسكندر الأكبر.

٢) بينما شهد القرن الثانى الميلادى ارتفاعا نسبيا فمن بين ١٢١ وثيقة زواج بردية كان هناك ٢٠ حالة فقط للزواج بين الأشقاء، مما يعنى نسبة حوالى ١٦% فقط، ومن ثم ليست ظاهرة عامة وكاسحة، بل تمثل حالات أقلية... وبخاصة بين الأجانب وليست بين المصريين....وبالتالى فالسبب معروف على رأس كل العوامل الضاغطة للإقدام على ذلك يجئ العامل الاقتصادى(٢٥)، متمثلا فى الحرص على:

- تقليل الإنفاق، وعدم دفع الدوطة وإتمام الزواج بأقل المصاريف.
- الحرص على عدم تفتيت الممتلكات العقارية أو الأراضى خارج العائلة الأجنبية التى كسبت ذلك بشق الأنفس عبر قرون مضت!!

ولكننا من مؤشرات أخرى حضارية هامة للغاية يمكننا أن نتوصل إلى جنسية المرسل والمرسل إليه، حيث أننا أمام إحدى حالات الزواج المختلط (Amixia) بين اليونانيين والمصريين الفقراء، أبناء الريف الغلابة... فالبردية من البهنسا (من مصر الوسطى) حيث الكثافة العددية الأجنبية كثيرة فى أوكسيرنخوس، العاصمة الثقافية الهامة ليونانى صعيد مصر، الذين أقاموا وسكنوا الريف، وعاشوا عيشة الفلاحين المصريين، يزرعون الأراضى، ويتاجرون فى خيراتها، ويستمتعون بمكاسبهم، ومكانتهم الطبقية الراقية، فى نظر الحاكم الرومانى الأجنبى السيد المطلق على كل البلاد والعباد.

إننا -هنا- أمام مواطن مصرى فقير، لا يملك قوت يومه، يدعى هيلاريون (Hilarion) كان قد تزوج من يونانية فقيرة مثله، ظلت هى فى منزل الزوجية، فى البهنسا، وسافر هو إلى الإسكندرية، العاصمة المركزية، وقلب العالم النابض حركة وتجارة وخليط سكانى، علّه يجد عملا مجزيا ليسد رمق زوجته، وأخته أليس (المصرية أيضا والتى يعولها معه فى بيته الفقير) فضلا عن وجود طفل صغير لهما من زوجته الشابة اليونانية الفقيرة، مثله، بيروس (Berous).

ويمكننا أن نلمح بعض مؤشرات الجنسية المصرية لصاحب الرسالة، والذى يحمل اسما أجنبيا، وهى التى نحسها فى المضامين الآتية:-

١) تقديره العالى لأخته، أولاً، ومخاطبتها قبل زوجته.

---

(٢٥) الحسين أحمد عبد الله، القانون والمجتمع فى مصر فى عصر الرومان، دارعين، القاهرة (ط/١)، ٢٠٠٢ ، ص ٥٧
(٢٦) المرجع نفسه، ص ص ٥٨-٥٩.

٢) عدم نسيانه ابنه الصغير، أبوللوناريس (Apollonaris)

٣) القدرة على التحمل والصبر فى العمل من أجل الأسرة فلا يوجد أب في العالم (!!!)يضحى من أجل أبنائه وبيته مثلما يفعل المصرى، قديما أو حديثا، فهذا يقينى الشخصى من خلال تجاربى الحياتية واحتكاكى الكبير بعدد، لا بأس به من الأجانب فى الشرق والغرب. فكلنا أيايب (جمع أيوب) (٢٧).

٤) هذا العطف والحب الكبير الذى يجيش فى صدره تجاه زوجته بيروس، فيلقبها باسم : "سيدتى" (Kyria mou)، ولم يستخدم لفظة أكثر شيوعا واستخداما وهى (Gyne)، أى زوجة. ولا نملك إلا التأمين والشفقة عليه عند قوله لها:(Pos dynamai se epilathein)

"كيف أقدر أن أنساك؟" ليبدد عنها مخاوفها وشكوكها تجاهه حتى لا ينساها فى غربته البعيدة.

أما المؤشرات الحضارية الأخرى الدالة على الجنسية اليونانية للزوجة بيروس، الفقيرة مثله، فهى:-

١) كتابة الرسالة البردية، من الإسكندرية، باليونانية حتى تقرأها وتفهمها الزوجة اليونانية.

٢) التأثر بالعادة اليونانية الأصيلة والكلاسيكية فى وأد البنات، على وجه الخصوص، دون الذكور، حينما قال لها بكل وضوح، بسبب ضيق ذات اليد:(Ean en arsenon, afes , ean en thelea , ekbale.)
بمعنى: (إذا كان ذكرا، فأبقيه، وإذا كان أنثى فتخلصى منه)، مما يعنى التأثير القوى عليه من زوجته اليونانية، ونجاحها فى إقناعه بذلك فى ضوء فقرهما معا!!

٣) القلق، كان ولا يزال، سمة رئيسية فى ملامح الشخصية اليونانية، على عكس الهدوء والتوكل للشخصية المصرية، ولذلك يحاول الزوج المصرى أن يهدأ من روع وقلق ومخاوف زوجته اليونانية بقوله: "لا تنزعجى" (Me agonias).

(٢٧) كما وصفنا بذلك د./ أحمد يونس ، نقيب المكفوفين المصريين يوما ما للدلالة على صبر وجلد وتحمل كل المصريين بعامة ، وليس فقط العمى.

وليس هناك ما يمنع من إمكانية ترجيح الجنسية العكسية لكل من المرسل والمرسل إليه إلا كتابة البردية باليونانية والحرص على ذلك لتسهيل مهمة قراءتها من الزوجة اليونانية الجنسية والثقافة وقبولها بوأد البنات، وهو الأمر الذى لم يكن معروفا لدى المصريين قبل الاسكندر.

وهكذا تكون الوثائق البردية قد فتحت لنا فتحا مبينا لاجتهادات واسعة تحتمل الشيء ونقيضه، لما فيها من تنوع، وفوضى، وتعقيد فظيع للحياة نفسها، كما وصفها C.H.Roberts [٢٨]، وكيف كان بلينيوس الأكبر محقا حينما أقر حقيقة حضارية هامة عندما اعتبر السجلات المكتوبة هى عصارة الحضارة وأكسيرها، وأنه: "**بالاستخدام الأمثل للبردى، تُنظم الإنسانية حياتها وتخلد ذكراها**":

"Cum chartae usu maxime humanitas vitae constet et memoria".

(٢٨) فى الفصل الذى كتبه عن البردى اليونانى فى مصر، فى كتاب نشره العلامة: رينشارد هاريس
The legacy :R.Harris , The Legacy of Egypt, London ,1967.chap. XI